



## تجديد الدرس الحديثي في الجزائر عند الإمام أبي يعلى الزواوي *Renewing Hadith Studies in Algeria according to Imam Abu Yaala Al-Zawawi*

يونس بوحمداد\*

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الجزائر 1 (الجزائر)  
[y.bouhemadou@univ-alger.dz](mailto:y.bouhemadou@univ-alger.dz)

تاريخ النشر: 2024/03/15

تاريخ القبول: 2024/02/18

تاريخ الاستلام: 2024/01/17



**ملخص:** إنَّ درس الحديث النبوي قد مرَّ بما مرّت به الفروع العلمية للدرس الإسلامي عموماً؛ وذلك من جهتي الازدهار والركود، والجزائر لم تكن نشازاً، فقد أدّت العوامل المادية والمعنوية للقطر الجزائري إلى ضعف الدرس الحديثي؛ رواية ودراية، وهو ما دفع علماء الجزائر في القرن 14هـ إلى الاعتناء به، والسعي إلى تجديد علومه ومعارفه، وتخليصه من ربة الجمود والتقليد، وممن انخرط في هذا المسعى العلمي؛ الإمام أبو يعلى الزواوي، والذي شارك إخوانه من علماء الجزائر في هذا المشروع النهضوي الإسلامي، سالكا في ذلك مسالك علمية ميّزته عن غيره، والتي سنشير إلى أبرزها في هذه الورقة البحثية المركّزة.

**الكلمات المفتاحية:** الحديث النبوي؛ التجديد؛ أبو يعلى الزواوي؛ الرواية والدراية.

**Abstract:** The study of Prophetic Hadith has undergone fluctuations, akin to the general trends in Islamic education. Algeria, not exempt from these dynamics, witnessed a decline in the field of Hadith studies due to both material and moral factors. This prompted Algerian scholars in the 14th century to actively engage in revitalizing and renewing their knowledge, liberating it from the stagnation of tradition. Among those dedicated to this scholarly endeavor was Imam Abu Yaala Al-Zawawi, who collaborated with his fellow Algerian scholars in this Islamic renaissance project. He charted unique scientific paths that distinguished him from others, and this paper will highlight the prominent aspects of his contributions in this focused research.

**Keywords:** Prophetic Hadith, Renewal, Abu Yaala Al-Zawawi, Narration and Knowledge.

\* المؤلف المراسل.

## 1. مقدمة

لقد كانت الأمة الجزائرية تعيش ركودا ثقافيا مزمنًا، وشاملا لجميع فروعها، ومنها العلوم الإسلامية؛ التي لازمتها مظاهر التقليد لفترة طويلة، وقد كان هذا الحكم عامًا، رغم تلك الجهود والاجتهادات الفردية التي كانت تظهر وتخبوا بين الفترة والأخرى في جهات القطر الجزائري، ومع النهضة الإسلامية في القرن 14هـ؛ لم تتخلف الأمة الجزائرية عن ركب النشاط المعرفي، ولم تتنكب في ساحة الحركة العلمية الإسلامية، بل كانت من المسهمين فيها بإسهامات مشهود لها من أساطين العلم والفكر الإسلامي من خارج القطر الجزائري، حتى جلس علماء الجزائر على كراسي كبرى مؤسسات الدرس الإسلامي؛ كالزيتونة، والأزهر، والحرمين الشريفين، ونالوا مشيخة الإسلام في أهم الحواضر العلمية الكبرى.

لقد اتّجهت همم علماء الجزائر في القرن 14هـ إلى تجديد الدرس الحديثي، والانكباب على دراسته وتدريبه، واندرج هذا المسعى الرئيس تحت المشروع القومي للأمة؛ وذلك بإحياء علوم الوحيين، اللذين هما أساس أي حركة علمية إسلامية، يُراد لها القبول والاعتبار الشرعي لدى متلقّيها، وقد كان التجديد الحديثي أكثر تعقيدا وحساسية، وذلك لشموله جانبي الرواية والدراية، وتعلقه بناحيتي الخبر والنظر؛ فالأول متعلق بالثبوت والوقوع، والثاني مرتبط بالدراية والفهم، أما القرآن الكريم فأكثر مباحثه من جانب التأويل والتفسير، أما روايته فقد ثبتت بالتواتر النافي لاحتمالات الخلل والزلل.

إن المطلّع على تراث الإمام أبي يعلى الزواوي؛ يجد "تحمّسا" علميًا مميّزا في باب تجديد الدرس الحديثي الجزائري، ومميّزا له -في بعض مباحثه ومسالكه- عن غيره من علماء الجزائر، فقد أسال الكثير من الحبر، وحرّر عديد المقالات؛ مع ما صاحب تلك الكتابات من تفاعل علمي، وانفعال معرفي، وهو ما يدفعنا إلى التوقف عند هذه القضية، والتساؤل -بحكم الضرورة العلمية-؛ ما هي أهم أسباب ودوافع تجديد الدرس الحديثي الجزائري عند الإمام أبي يعلى الزواوي؟، وما هي الوسائل لتحقيق هذا المشروع الحساس؟، وما هي الجوانب والنتائج المقصودة من وراء هذا المسعى؟.

تفرض علينا طبيعة البحث المطروق الاستعانة بمنهج علمي مركّب؛ وذلك بالاعتماد على المنهج التاريخي الاستردادي؛ وذلك للاطلاع على تراث أبي يعلى الزواوي في الموضوع، وقراءة مواقفه ضمن سياقاتها التاريخية والواقعية التي تولّدت ضمن ظروفها، ثم عرض هذه المواقف على المنهج التحليلي، والذي يمكن من خلاله تحليل المعطيات، والحكم عليها بما تقتضيه الموضوعية العلمية في البحث.

لتأطير الموضوع؛ ارتأيت إدراجه في خطة بحثية محيطية بأجزاء الإشكالية المركّبة -أنفة الذّكر-، والتي يمكن إجمالها في مبحثين؛ أولهما: الإمام أبو يعلى الزواوي؛ وأسباب تجديد الدرس الحديثي الجزائري، وتحته مطلبان؛ يتناولان على الترتيب: الترجمة باختصار للإمام أبي يعلى الزواوي، ثم تحديد أهم أسباب ودوافع الإمام لتجديد الدرس الحديثي الجزائري.

أما المبحث الثاني ففحواه العلمي؛ الجوانب العلمية لتجديد الدرس الحديثي الجزائري، وأهم وسائل

تحقيقه، وضمنه مطلبان؛ يدرسان على التتابع: شقي الحديث النبوي؛ رواية ودراية، وتحديد مفهوم كَلِّ منهما، ووسائل تجديدهما، مع ما يتولد عن المطالب من عناوين فرعية ترد حسب الحاجة المعرفية لحل إشكالية البحث.

## 2. أسباب تجديد الدرس الحديثي عند الإمام أبي يعلى الزواوي

لقد برزت أسباب عديدة جعلت الإمام أبا يعلى الزواوي ينادي بوجوب تجديد الدرس الإسلامي الحديثي، وإصلاح طرق تحمّله وأدائه، ولكن الشروع في المقصود لا يتم إلا بالتقديم للموضوع بترجمة مختصرة للإمام، والتي ستعرض لأهم المحطات العلمية، والأحداث المعرفية التي مرّ بها ومرّت به، ولا تخفى الضرورة العلمية لمثل هذا المسلك، ودوره في تفسير عديد المواقف والاتجاهات للشخصية تفسيرا مطابقا للحقيقة.

### 1.1.2. ترجمة مختصرة للإمام أبي يعلى الزواوي<sup>1</sup>:

سيتمثل جديد هذا المطلب؛ في الحرص على الترجمة للإمام أبي يعلى الزواوي من خلال حديثه عن نفسه، وتاريخه الشخصي لكثير من مراحل حياته، وقد كشف البحث والاستقراء لتراثه الذي أنتجه وخلفه عن كثير من تلك المحطات التي تراوحت بين الإشارة والتفصيل، وستكون الأولوية والتقديم لها عن غيرها من الكتابات التاريخية لمن كتبوا عنه رحمه الله.

### 1.1.2.أ: مولده ونشأته.

#### أولاً: نسبه ومولده.

هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي بن يحيى بن الحاج، المشتهر بـ أبي يعلى الزواوي، ولد عام 1866م بقرية تاعروست، بإغيل نْزكري، وهي اليوم ببلدية زكري التابعة إداريا لدائرة عزازقة بولاية تيزي وزو، وأصله من قرية تيفريث ناث لحاج؛ الواقعة في بلدية أقرُو؛ التابعة لدائرة أرفون، فالأولى (تاعروست) قرية والده وأخواله، والثانية (تيفريث ناث الحاج) قبيلة أبيه وأعمامه، قال الشيخ أبو يعلى الزواوي رحمه الله: " قبيلة أبي وجدي، وزاويتنا المسماة: تيفريث نيث الحاج... والثانية قبيلة إيغيل أنزكري شرفاء مشهورة، والدتي منهم، في إحدى قراهم المسماة: تاعروست... وهذه القرية هي مسقط الرأس"<sup>2</sup>.

كان الإمام أبو يعلى الشريف النسب كما صرح بذلك، حيث قال: "وأنا لا فخر شريف"<sup>3</sup>، وقال في موضع

1- يُنظر: نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص: 164. ورايح خدوسي ومجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج: 02، ص: 98. وأ/ بسكر محمد، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المطبوعة والمخطوطة، ج: 01، ص: 268. ود/ شرفي أحمد الرفاعي، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين؛ الإمام أبي يعلى الزواوي، ج: 04، ص: 3-22. ودويب عبد الرحمن ومحمد الأمين فضيل، الشيخ أبو يعلى الزواوي حياته وأعماله، ج: 01، ص: 35-70.

2- الزواوي أبو يعلى، جماعة المسلمين، دويب عبد الرحمن ومحمد الأمين فضيل، الشيخ أبو يعلى الزواوي حياته وأعماله، ج: 04، ص: 51.

3- المصدر نفسه، ج: 01، ص: 321.

آخر: "وأنا أيضا منشئي برب الزواوة وإن كان نسي شريفا من الحسنين"<sup>1</sup>، ولم يكن الإمام يريد بالإشارة إلى ذلك؛ التفاخر بالأحساب والأنساب، ولكنه كان ينسب نفسه ويعرف بأصله؛ وذلك في سياق الحديث عن النسب العرقي والعلمي، كما كان يذكر ذلك ويذكر به عندما كان يعيب على بعض الأشراف سلوكاتهم العنصرية، وأفعالهم القبيحة التي كان ياباها الإسلام في أحكامه؛ كاحتكارهم للتعليم بين الأشراف دون غيرهم من المسلمين، وعدم تزويج المرأة الشريفة من غير الشريف، وغيرها من الآفات التي أحدثت باسم النسب الشريف، وعُطيت بغطاء شرعي.

مما يؤكد إخباره بنسبه الشريف في سياق الإخبار للإنكار لا للافتخار؛ السياقات التي ورد فيها الأمر؛ كقوله مستنكرا: "وأباحوا للشرفاء أن يعملوا ما يشاؤون، وأنا لا فخر شريف ابن محمد الحاج الزواوي، هذه نصرانية يباع فيها الغفران ويشترى، أما الإسلامية فليس للإنسان إلا ما سعى"<sup>2</sup>.

ومنه ما شنع به على بعض الأشراف عند حديثه عن مسقط رأسه؛ واحتكار التعليم بين الأشراف والمرابطين دون غيرهم، حيث قال: "وكانت زاويتنا هذه يضرب بها المثل في العناية بالقرآن وحفظه... وهذا خطأ من القدماء أنه لا يقرأ عندهم إلا المرابطون والشرفاء، وهذه مشابهة لقضية الإفرنج النصراني؛ لا يقرأ التوراة والإنجيل إلا الرهبان والملوك"<sup>3</sup>، وبهذا تجد الإمام أبا يعلى يذكر بشرف نسبه حتى يكون الانتقال للأشراف والمرابطين داخليا؛ من واحد منهم، فيكون مرجو الثمرة والتأثير أكثر مما لو كان النقد من جهة أخرى من خارج دائرة الأشراف.

#### ثانيا: نشأته العلمية.

نشأ الإمام أبو يعلى الزواوي في بيت شرف وعلم ودين، فتربى تربية إسلامية ترقى أثناءها في مراقب التحصيل الشرعي، على طريقة أهل المغرب الإسلامي في تحصيل الضرورات والكمالات من العلوم الشرعية، حيث بدأ بكلام الله تعالى؛ فحفظ القرآن الكريم وعمره اثنا عشرة سنة، ثم انتقل إلى زاوية عبد الرحمن اليلولي ببوزقن في حاضرة تيزي وزو، فدرس على شيوخها؛ ومنهم الشيخ الصادق بن زكري، ومحمد السعيد بن زكري، كما أخذ عن الشيخ محمد أجديد؛ الذي درس عليه مختصر خليل، والأجرومية والسنوسية، وقد كانت هذه الزاوية آنذاك من الزوايا العلمية<sup>4</sup> التي كانت تشتغل بالتعليم الشرعي المتدرج؛ بعيدا عن الطريقة، وهي التي حولت فيما بعد إلى معهد وطني تابع لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية بعد الاستقلال، وذلك بقصد تكوين إطارات الشؤون الدينية بمختلف رتبهم وأصنافهم، وهم الذين يتوظفون في المساجد.

1- المصدر نفسه، ج: 03، ص: 159.

2- المصدر نفسه، ج: 01، ص: 321.

3- المصدر نفسه، جماعة المسلمين، ج: 04، ص: 51.

4- في موضوع أنواع الزوايا: العلمية- الطريقة- زوايا العلم والطريقة، يُنظر: سعيد قاضي أبو خليل، الجرجرية، ص: 55-58.

لقد تحدث الإمام أبو يعلى الزواوي بكلام قيم ومؤثر عن بداياته العلمية؛ وعن نيته الأولى من السعي في طلب العلوم والمعارف، وهو الذي كان يمكنه كتمها لما فيها من النقص، ولكنه أبقى روايتها تنبيهاً وتبصيراً، والحق أنه لا لوم على ما ذكره، إذ كان في سن لا تكليف فيه عليه، حيث قال: "حال الابتداء في ست سنين لم أقرأ إلا خوفاً من الضرب، لم أعلم بأن العلم نافع إلا بعدما مضى ثلث من عمري، ثم قرأت ليقال إنه حفظ القرآن لأذكر بذلك بين الأقران... ثم إذا تعلم الإنسان السعيد وتبصر وتدبر ونظر وتفكر في خلق الله، وتقدم في السن... فعند ذلك يأبى العلم أن يكون إلا لله"<sup>1</sup>، فقد راقب نيته، ثم عمل على إصلاحها واستدراكها.

## 2.1 ب: وظائفه ومؤلفاته.

### أولاً: وظائفه.

استمر الإمام أبو يعلى الزواوي يستزيد من المعارف والعلوم؛ متنقلاً في أنحاء البلاد؛ إلى سن الرابعة والعشرين من عمره؛ وفي عام 1890م طلبه القاضي عبد الله الكبلوتي للتوظيف كاتباً في محكمة سوق أهراس، ثم قصد القاضي الشريف بن باديس بقسنطينة، والذي أعانه على اجتياز امتحان العدالة في مدرسة قسنطينة؛ ليبقى في وظيفته الجديدة مدة من الزمن<sup>2</sup>.

كما اشتغل في وظيفة التعليم مدة من الزمن، وقد قال عن نفسه: "أرى وأنا زاولت التعليم مدة، وتعاطيته بإخلاص، ولي على ذلك شهادة مرضية، وكان الأستاذ المرحوم حلقة الحفاظ ببلادنا الزواوة؛ الشيخ محمد سعيد يقول مشافهةً وفي ظهر الغيب: (من تعلم عندك سنة خير ممن يتعلم عند غيرك عشرة أعوام، وأود أن أجعلك مديراً عاماً للتعليم العام في بلاد الجزائر كلها)"<sup>3</sup>، وهذه الشهادة العزيزة إن دلت على شيء فإنما تدل على تمكن الإمام من وظيفة التعليم، وبراعته في مسالكها ومناهجها، ولا يخفى على عاقل أهمية التعليم في أي عمل إصلاحي تُرجى ثمرته الشاملة.

بالإضافة إلى جولاته داخل البلاد؛ كان للشيخ سفرات إلى خارجها، حيث قضى ست عشرة سنة خارج الجزائر؛ فرحل إلى تونس سنة 1893م لمقاصد غير محددة بدقة، ثم إلى باريس العاصمة الفرنسية؛ حيث خلف الشيخ أبا القاسم الحفناوي في وظيفة رسمية سنة 1902م، ثم رحل إلى دمشق سنة 1910م ككاتب عام في القنصلية الفرنسية إلى قبيل الحرب العالمية الأولى، ومع بداية الحرب العالمية الأولى انتقل الشيخ إلى مصر، والتي منها قفل راجعاً إلى الجزائر في نواحي سنة 1919م.

عاد الإمام أبو يعلى الزواوي إلى الجزائر ليشغل وظيفته التي كان يشغلها والده؛ وهي الإمامة، حيث عين

1- الزواوي أبو يعلى، المصدر السابق، ج: 02، ص: 81-84.

2- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 82.

3- المصدر نفسه، تاريخ الزواوة، ج: 4، ص: 114.

سنة 1920م إماما بجامع سيدي رمضان في أعالي القصبة؛ بالعاصمة الجزائر<sup>1</sup>، وبقي في منصبه ذلك إلى وفاته سنة 1952م، وجمع بين الإمامة والكتابة في الصحف والجرائد والمجلات، والتأليف، والمراسلة، والمحاضرة، فكان بذلك؛ خطاطا، وإماما، وخطيبا، ومدرسا، وصحفيًا، ومفتيًا، وجمعويًا، وكاتبًا، وكل هذه الجهات من عمله الإصلاحية يمكن أفرادها بالدراسة والتحليل، ولكن ذلك خارج عن مقصد البحث ومراميه، إلا أن الجامع بينها كلها؛ هو النَّفَسُ العلمي، والاتجاه الإصلاحية في أهدافه، والوسطية والاعتدال في الطرح.

ثانيا: وفاته وتراثه.

التحق الإمام أبو يعلى الزواوي بحزب الإصلاح، وكان من أوائل المسهمين في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد اختير رئيسا مؤقتا للجمعية العمومية المكلفة بوضع القانون الأساسي للجمعية، ثم انتخب في المجلس الإداري المسير لها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانته بين أعيان الجزائر وعلمائها؛ باختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم، واعتباره شخصية توافقية بين الإصلاحيين والطرفيين على حدّ سواء.

بعد تأسيس جمعية العلماء أصبح رئيسا للجنة العمل الدائمة، ورئيسا للجنة الفتوى بها، وبقي رئيسا للجنة الفتوى إلى أن أنهكه المرض، ومنعه من الاستمرار والمواصلة، ولعل مرض التهاب المفاصل هو الذي نال منه في شيخوخته، وقد قال الشيخ أبو يعلى الزواوي -متحدثا عن مرضه-: "ثم إني مصاب بمرض الروماتيزم"<sup>2</sup>.

بقي الإمام قائما في محراب الصلاة، وخطيبا على منبر الوعظ والإرشاد، وناطقا في ميادين الإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بالقلم واللسان؛ إلى مساء يوم الأحد 8 رمضان 1371هـ (01 جوان 1952م) حيث توفاه الله تعالى، وشيعت جنازته يوم الثلاثاء 10 رمضان؛ في موكب مهيب، وقد قال فيه الكبار ما لا يقال إلا في الكبار أمثاله، وشهد له المصلحون من شتى بقاع الأرض من علماء المسلمين بشهادات عزيزة<sup>3</sup>.

لقد ترك الإمام تراثا نافعا؛ فيه المطبوع والمخطوط، وقد حاول الدكتور أحمد الرفاعي شرفي جمع تراثه من المقالات ضمن سلسلة: (مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين)، حيث خصص الجزء الرابع لتراث الإمام أبي يعلى، ولكن الدكتور شرفي غاب عنه الكثير من تراث الإمام، وإن كان في مقدمته لم يدع الإحاطة والحصر<sup>4</sup>، ثم يسر الله تعالى للباحثين: عبد الرحمن دويب، ومحمد الأمين فضيل، جمع أكثره في أربعة مجلدات؛ وُسِّمَت ب: الشيخ أبو يعلى الزواوي؛ حياته وأعماله، وقد وفقا في خدمتهما

1- يُنظر: المصدر السابق، ج: 1، ص: 598.

2- المصدر نفسه، ج: 3، ص: 430.

3- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 1، ص: 66-70.

4- يُنظر: مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين؛ الإمام أبي يعلى الزواوي، جمع وإعداد: د/ أحمد الرفاعي شرفي، ج: 4، ص: 3-22.

وجمعهما لتراثه من المقالات والرسائل<sup>1</sup>.

## 2.2. تجديد الدرس الحديثي؛ مفهومه وأسبابه:

سنتعرض في هذا المطلب لمفهوم التجديد في العلوم الإسلامية، وتحديد حدود عمله وإعماله، ثم نشير لأهم الأسباب التي جعلت الإمام أبا يعلى الزواوي ينادي بوجوب تجديد الدرس الحديثي عموماً، والجزائري منه خصوصاً.

### 2.2.أ: مفهوم التجديد وحدوده.

#### أولاً: مفهوم التّجديد في العلوم الإسلامية.

لغة: قال الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري: "وجدّ الشيء يجدُّ بالكسر جدَّةً: صار جديداً، وهو نقيض الخَلْقِ"<sup>2</sup>، وقال ابن منظور الإفريقي: "والجدَّة: نقيض البلى... وقال أبو علي وغيره:... وهو نقيض الخَلْقِ"<sup>3</sup>.

نجد بأن المعنى اللغوي للتجديد دائر بين معاني البعث والإحياء لما اندرس وغاب من المعاني والقيم، وإصلاح لما بلى وخلق من الأمور المادية، فهو شامل وصالح الإيراد في الأمور المعنوية والمادية معاً.

اصطلاحاً: لقد تعددت المعاني الاصطلاحية للتجديد منذ القدم، وما زال العلماء يتباين تعاريفهم للتجديد في العلوم الشرعية، وكلُّ يورده حسب مشربه واتجاهه ومقصده من تعرّضه له، وليس المقام مقام الإحصاء والاستقصاء؛ ولكن أصله وجذره في الإسلام قائم على الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)<sup>4</sup>، ولم يختلف في صحته أهل النقد المعترين في القديم والحديث<sup>5</sup>، وإنما وقع التّقاش العلمي في معنى التجديد في الحديث.

قال العلامة أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي -في معنى التجديد الوارد في حديث سنن أبي داود:- "أي: يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم.. وقال العلقمي في شرحه: معنى التجديد: إحياء ما اندرس من العلم بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما"<sup>6</sup>، وأوفق التعاريف لمعاني التجديد، وأرعها لسياقات وروده الشرعية؛ هو ما دار في هذا المعنى<sup>7</sup>.

1- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 1، ص: 63.

2- الجوهري أبي نصر إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج: 02، ص: 26.

3- ابن منظور جمال الدين أبي الفضل الأنصاري المصري، لسان العرب، ج: 02، ص: 805.

4- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم: 4291. أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ج: 01، ص: 1675.

5- يُنظر: د/ بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، ص: 13.

6- العظيم آبادي محمد شمس الحق أبي الفضل، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج: 07، ص: 355.

7- للتوسع والاستزادة؛ يُنظر: د/ بسطامي محمد سعيد، المصدر السابق، ص: 14-28. ومحمد حامد الناصر، العصرانيون بين مزاعم

### ثانيا: حدود التّجديد في العلوم الإسلامية.

إنّ التجديد ظاهرة صحية وضرورية في العلوم الإسلامية أصالة، وفي علوم الحديث والسنة النبوية تضمّنا، وهو مظهر من مظاهر المرونة والديمومة التي تختص بها علوم الشريعة الإسلامية، مما يضمن لها الصلاحية والقدرة على التكيف مع خصوصيات المكان والزمان، والاستجابة لنوازل العصور، والإجابة عن تساؤلات الإنسان؛ سواء من داخل الصف الإسلامي، أو من خارج دائرته، وفي مقدمتها علوم الكتاب والسنة، وما تعلق بالوحيين.

ينخرط مسعى التجديد في إطاره المشروع؛ إذا سُبِّحَ بسياج الاحتياط، وضُبط بضوابط المعاني الواردة في معناه الاصطلاحي، وقُيِّد بقيود تحفظه من مزالق التمرد، ومخارج التغيير، ومؤدّيات المسخ لمعالم الأصيل، وقد نشأ عن مسالك التجديد المعاصر - غير المنضبط - مذاهب واتجاهات؛ تفاوتت في التطرف والنأي عن جوهر الإسلام ومعانيه، فالتجديد الأصيل؛ بعثٌ وإحياء للإسلام العتيق؛ بصفاته ونقائه وعراقته، ونفي العلائق والدّخيل عنه، مع إعمال معامل الاجتهاد والتّنظر المشروع، أما التجديد الثوري؛ فهو تغيير وإزالة للإسلام الأصيل، واستبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير، فلا يبقى من الإسلام إلا اسمه وشيء من رسومه.

قال الدكتور يوسف القرضاوي عن التجديد الصحيح والمطلوب: "هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر... فالتجديد ليس معناه تغيير طبيعة القديم، أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر، فهذا ليس من التجديد في شيء.. وكذلك الدين: لا يعني تجديده إظهار طبعة جديدة منه، بل يعني العودة به إلى حيث كان"<sup>1</sup>، فالتجديد ضروري وصحيٌّ في كل ما يراد له البقاء والاستمرار الإيجابي والمثمر.

### 2.2.ب: من أسباب التّجديد في العلوم الإسلامية عند الإمام أبي يعلى الزواوي.

إنّ التجديد في علوم الإسلام واقع شرعا وقدرًا، وضروري تأصيلا ونظرا، وذلك لقيام دواعيه المعرفية، ووجود أسبابه العلمية، وسندشير فيما يأتي إلى أهمها عند الإمام أبي يعلى الزواوي:

#### أولا: إحياء الشرائع المهجورة ونفي المحدثات.

سبقت الإشارة إلى تضمن مصطلح التجديد لمعنى إحياء العلماء المجدّدين لما اندرس من معالم الدّين، وبعث المصلحين لما هُجر وتُرِكَ من أحكامه وشرائعه العلمية منها والعملية، ونفي ما ألصق به مما ليس منه، ولم يقدّم عليه دليل ولا اجتهاد معتبر، وقد قال الإمام أبو يعلى الزواوي في هذا المعنى: "يلزم الإصلاح في العقائد وفي الفقه وفي التفسير، وفي سائر العلوم مما اعترأها من الزيادة والنقصان، كما

التجديد وميادين التغريب، ص: 177. وأ.د/ عبد العزيز مختار إبراهيم، العصرانيون ومفهوم تجديد الدين عرض ونقد، ص: 11. ومحمد بن شاعر الشريف، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، ص: 11.

1- د/ القرضاوي يوسف، من أجل صحوة راشدة، ص: 30.

علمتم، ثم في سائر أحوال الأمة وأعمالها، ويكون الشرع العزيز ميزانا تعرض عليه المواضيع التي يلزم إصلاحها، والنظر فيها، فما قبله فهو مقبول، وما لا؛ فمنبوذ<sup>1</sup>، وهنا نجد الإمام حريصا على عدم ترك الإصلاح منوطا بالأهواء، واستحضار المجدد المصلح لكون الميزان في كل تجديد قائما على أصول الشرع المعتمدة.

لقد حذر الإمام أبو يعلى الزواوي من المسالك المناقضة للمسلك المعتمد في التجديد الإسلامي الصحيح، حيث قال: "هذا وإن الإصلاح ضروري طبيعي للبشر، مجمع عليه، محبوب ومحمود، وهو ضد الإفساد والفساد، وقد يدعيه من أخبر الله تعالى عنهم؛ (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (سورة البقرة: 11-12)، وهم المنافقون على عهده صلى الله عليه وسلم، والمفترون من بعده، وهم أصحاب الفرق الضالة المضلة التي سميت الأمة ومزقتها كل ممزق؛ بسبب الانصراف عن الأصول الشرعية المعتمدة من كثرة التأويل المؤدي إلى التحريف والخروج عن ظاهر الكتاب العزيز وإجماع السلف..."<sup>2</sup>، وفي هذا النص وصف لأمارات للتجديد السليبي؛ ومنها:

- الانصراف والإعراض عن أصول الإسلام المعتمدة؛ كالكتاب والسنة والإجماع، سواء في التأصيل للمسائل الجديدة، أو عرض المسائل الواقعة؛ للحكم عليها من جهة إثباتها أو نفيها الشرعي.

- الإغراق في التأويلات البعيدة التي لا تحتملها الفهم السليمة، ولا تقرها قواعد التفكير الإسلامي الصحيح، ولا توافقها نصوص الوحيين، ولا تقرها قواعد اللغة ولا بلاغتها، وهو ما يؤدي إلى التحريف العلمي والانحراف العملي، ويولد الفرق والطوائف الضالة؛ التي تزيد الأمة تفرقا ومرضًا، وتخلد بها إلى مسافل الانحطاط الشامل.

### ثانيا: الإجابة عن القضايا المعاصرة.

من أظهر مظاهر التجديد الإيجابي؛ تنشيط حركة الاجتهاد الإسلامي، وقدرة المجددين على الإجابة عن القضايا المستجدة، والتعامل مع النوازل الفقهية والقضائية الحادثة، وقد كثرت النصوص التي تشير إلى هذه القضية في تراث الإمام أبي يعلى الزواوي، سنورد منها ما يكفي للتمثيل، ونكتفي بالإشارة إلى غيرها، ومنها حديثه عن حكم صلاة وصيام سكان القطب الشمالي، وذلك سنة 1928م؛ حيث قال الإمام رحمه الله: "...يقال إن هذه تمرينات واعتبارات ونظريات علمية عقلية وذلك بأن ديننا الإسلام صالح لكل زمان ومكان"<sup>3</sup>، فالشيخ يعتبر هذه النوازل والقضايا المستجدة لا تمثل أي تحدٍ لشرائع الإسلام، ولا تسبب أي إحراج لأدلته وأصوله، بل هي شواهد قائمة على صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، واعتبرها

1- الزواوي أبو يعلى، المصدر السابق، ج: 01، ص: 453.

2- المصدر نفسه، ج: 1، ص: 451، ويُنظر: المصدر نفسه، ج: 1، ص: 520.

3- المصدر نفسه، ج: 2، ص: 296.

بمثابة تمرينات ومواقف تحفّز البحث العلمي الموضوعي، وتحرك العقل الاجتهادي الإسلامي، وتتجلى قائمة على الصّلاحية الأبدية للإسلام، كما يمكننا الإشارة إلى قضايا أخرى استثمرها الإمام في إثبات الحركة التجديدية في الإسلام، ومنها ما يأتي:

- تبرئة الإسلام من تهمة السببية في واقع المسلمين المنحط، والردّ على من يتهمه بالصدّ عن مسالك المدنية والترقي، وبكونه عقبة في طريق النهضة الشاملة، وحاجزا مانعا من الأخذ بأسباب التطور والتقدم، والإجابة عن ذلك؛ بأن الواقع السلبي الذي واقّع الأمة؛ إنما هو مظهر من مظاهر البعد عن روح الإسلام، وترك تعاليمه، وليس نتيجة لإعماله والأخذ به<sup>1</sup>.

- إبعاد الإسلام عن مقاليد الحكم، واستبعاد أحكامه وتأصيلاته من صياغة قوانين الدول المسلمة وموائيقها ودساتيرها، وذلك بدعوى عدم صلاحيتها لروح العصر، وعدم كفايتها باحتياجات الدول في شتى المجالات، ومختلف القطاعات والتنظيمات، والتأثر في ذلك بمبدأ فصل الدين عن الدولة<sup>2</sup>، وقد مثل في مرات عديدة بالدولتين؛ الفارسية (القومية) والتركية (العلمانية).

- حثّ الدول والحكومات الإسلامية المستقلة على الأخذ بالإسلام في أصول الحكم، وعدّ الوسائل الإسلامية الفعّالة الكثيرة، والتذكير بأسباب نهضة المسلمين الشاملة، وعدم تعارضها مع أسباب المدنية، وقدرتها على تحقيق أسباب العزّة والتمكين<sup>3</sup>.

### 3. تجديد الدرس الحديثي عند الإمام أبي يعلى الزواوي؛ جوانبه وأهم وسائله.

اتّجه الإمام أبو يعلى الزواوي إلى التجديد العلمي الشامل للدرس الحديثي الجزائري، ولم يكن اتّجاهه عاطفيا، أو مجرد تدمر معرفي عام، بل؛ فصلّ في الأسباب الداعية إليه، وأحاط بالجوانب المستحقّة له، كما اقترح الوسائل والأدوات ذات الجدوى؛ والتي يمكن من خلالها الوصول إلى المنشود في هذا الباب الخطير، وسنعمل في هذا المبحث على استجلائها، والإشارة إليها بالقدر الذي تتيحه هذه الورقة البحثية المركّزة.

#### 1.1. جوانب تجديد الدرس الحديثي عند الإمام أبي يعلى الزواوي:

لقد نادى الإمام أبو يعلى الزواوي بوجود تجديد الدرس الحديثي بشقّيه؛ رواية ودراسة، ذلك أن مظاهر الضعف والانحطاط العلمي قد نالت من الجانبين دون استثناء، ولا يخفى على أهل الاطلاع والاختصاص بأن الدرس الحديثي لا يمكن أن تقوم له قائمة معرفية إلا باجتماع الأمرين معا؛ وذلك بثبوت وصحة الرواية، وثبات واستقامة الدراية، وأيّ استثناء في هذه الثنائية المتلازمة سيؤدي إلى نتائج عكسية غير محمودة.

1- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 1، ص: 421. و ج: 1، ص: 500. و ج: 1، ص: 518.

2- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 1، ص: 451. و ج: 1، ص: 522. و ج: 3، ص: 102.

3- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 3، ص: 172.

### 3.1. أ: تجديد الرواية الحديثية في الجزائر؛ عند الإمام أبي يعلى الزواوي.

أشار الإمام أبو يعلى الزواوي إلى تجديد الرواية الحديثية في الجزائر، وذلك في عدة مناسبات وسياقات؛ ومنها كثرة حديثه عن أزمة كتابة الرواية الحديثية، وتدوين السنة النبوية، حتى بلغ إنكاره في المسألة مبالغ ألبت عليه أهل الجمود، وحملتهم على التّجّي عليه، ومحاولة تحميل كلامه ما لا يحتمله من المحامل المتكلفة، وذلك عند قوله: "وعليه فإن أمر تدوين الحديث النبوي عندنا فوضى لا شورى، لم يضبط ضبط القرآن الذي تولاه الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ملقنا وممليا على الكاتبين كما علم... وكان ينبغي أن يفعل بالحديث النبوي لو شاء الله، ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا، صار الحديث كلام النبي صلى الله عليه وسلم للعامة والخاصة يتناقلونه ويحفظونه ويتحاكونه ويستدلون به..."

ثم نقول أيضا: من أجل ذلك دخل الحديث النبوي ما دخل التوراة والإنجيل، وقلت هذا القول ومازلت ولن أزال أقوله، ولم أقف على أن أحدا سبقني إليه بل أنا أبو عذره، وأزيد أقول: إن الحديث سبب قوي في تقوية الفرق... ومع ذلك تجدها زورت ودست ودلست وأرسلت وأسندت وحدثت وعنعت بآلاف من الأحاديث لتؤيد كفرها وانصرافها عن الجادة، وتدهورها إلى سواحيق الخيال والضلال والوبال، فسممت الأمة بباطنيها وعالم غيبها<sup>1</sup>.

لقد استفزت العبارات الجريئة للإمام المشتغلين بالدرس الحديثي في العالم الإسلامي، وأوجد حديثه عن (أزمة الحديث) أزمةً ومساجلات علمية؛ تنوعت بين التأييد والاستهجان، وهو ما دفع الإمام أبا يعلى إلى توضيح تحفظه في الحديث، وزيادة فكرته بسطا وشرحا، ودفع الأحكام والمحاکمات الخاطئة عنه؛ وقد كانت شبهة موافقة القرآنيين المنكرين للسنّة أخطرها، ولهذا قال: "وقع منذ أعوام أخذ وردّ في الجرائد المصرية وفي مجلة المنار أن جماعة من العلماء المفكرين... قالوا بأنه لا يؤخذ بالحديث مطلقا إنما يؤخذ بالقرآن فقط... وهذه المعمة والمعركة لم أدخلهما ولست من أبطالهما ولا من فرسانهما، ولم يزل هذا الفريق القائلون بهذا الأمر يناضلون عنه ويطالبون به ولا أدري كيف انفصلت المعركة..."

وقولكم: وأغرب من ذا وذاك تشبيهكم الحديث في التحريف بالتوراة والإنجيل.. الخ.. فالجواب: أن تشبيهي الحديث بالتوراة والإنجيل من حيث وجود التحريف بالزيادة والنقصان لا غير حسب المنطوق ولا تعتبر غير ذلك، والتحريف بالزيادة والنقصان أمران موجودان في الحديث بالضرورة... وعليه فلا يحزنك التحفظ في الحديث والقول بكثرة الضعيف فيه، وإنما يحزنني ويحزنك التلاعب الواقع فيه...<sup>2</sup>، ومما يدفع عن الإمام أبي يعلى الزواوي شبهة ازدراء الرواية الحديثية وروايتها مطلقا؛ ما يأتي:

- إعجابه بمسالك المتقدمين من علماء الحديث المسلمين، وثناؤه على مناهجهم الدقيقة في التوثيق وتحري الصحة، وتفوقهم في الصناعة الحديثية ضبطا، وإحاطة، وإتقان، حتى اعترف لهم بالسبق العلمي

1- المصدر نفسه، ج: 2، ص: 65-66.

2- المصدر نفسه، ج: 2، ص: 52-53، و يُنظر: ج: 1، ص: 519-520.

علماء الغرب من المنصفين<sup>1</sup>، ولو كان ناقما على التراث الحديثي؛ لشمّل حطّه التراث ومورثيه معا.

- تحذير أبي يعلى الزواوي من السعي لتحصيل الإجازات، والاتصال بالأثبات والفهارس؛ التي تحوي المسلسلات المكذوبة، والروايات المردودة<sup>2</sup>، أما الاتصال بها على طريقة المتقدمين؛ فسنة متبعة، وخصيصة من خصائص الأمة المحمدية.

- عدم تحرّجه من التصريح بوجود روايات ضعيفة في صحيح البخاري ومسلم<sup>3</sup>، ولكن هذا لم يمنعه من الإقرار بتلقي الأمة لهما بالقبول، وافتراقهما عن غيرهما؛ في وجوب العمل بكل ما فيهما<sup>4</sup>، وعدم قصده الطعن أو التنقيص من مكانتهما العلمية، ومنزلتهما بين كتب ومصادر الدرس الحديثي الإسلامي، وهو الذي كان كثير الاحتفاء والتفخيم لهما ولمؤلفيهما<sup>5</sup>.

### 3.1. ب: تجديد الدراية الحديثية في الجزائر؛ عند الإمام أبي يعلى الزواوي.

نال جانب الدراية نصيبه من التذكير عند الإمام أبي يعلى الزواوي، فقد حذّر من الاشتغال الحديثي المبتور والأعرج، والذي يعتني بالرواية دون الدراية، وقد تعدد سياقات ورودها كآلاتي:

أولاً: دراسة المتون الحديثية.

عاب الإمام أبو يعلى الزواوي على المشتغلين بالدرس الحديثي؛ إغراقهم في الدراسات الإسنادية، واقتصارهم على مباحث الرواية في الحكم على الحديث قبولاً وردّاً، ولهذا أكّد على وجوب إتباع قسم الإسناد بقسيمه في المتن، فلا يُجزم بالحكم على الحديث إلا بعد استيفاء الدراسة من جانبي السند والمتن معا، ومما قاله في هذا الباب الدقيق: "(التاسع) ألا نعتد في تصحيح الحديث على صحة روايته ومسنده وحدها، بل ننظر في متن الحديث ومدلوله ومضمونه، فإن وافق أصول الدين وآي القرآن والإرّذّ مهما كان أمر سنده وروايته"<sup>6</sup>.

ولا مجال هنا لإطلاق كلام الإمام، وأو توجيهه إلى وجهات لم يقدّم عليها دليل من تراثه، ذلك أن هذا الكلام وجهه الإمام إلى علماء الإسلام، والقائمين على شؤون الإصلاح الشامل، والمتصدّرين للتأليف والكتابة؛ من المصنّفين والمفتين.

### ثانياً: انتداب أهل الاختصاص في الدرس الحديثي.

من آفات الدرس الإسلامي عموماً، والدرس الحديثي خصوصاً؛ تصدّر غير مكتملي الأهلية لمسائله،

1- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 64.

2- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 72.

3- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 48.

4- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 50.

5- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 54، وج: 2، ص: 75، والإسلام الصحيح: ج: 4، ص: 141، وج: 3، ص: 529.

6- المصدر نفسه، تاريخ الزواوي: ج: 4، ص: 109.

وتصدير عديبي الاستحقاق في منابره، خاصة إذا خاضوا في القضايا الكبرى للدرس الحديثي دون أهلية اجتهادية حديثة معتبرة، هناك تستحكم الفوضى العلمية، وتشتد الأزمة الحديثية، ولهذا حرص الإمام أبو يعلى الزواوي على الكلام في قضية تمكين المتمكنين من أهل الاختصاص الحديثي من التصدي لدرسه، وإبعاد المتطفلين؛ سواء من عديبي الأهلية، أو من متعمدي التشويش العلمي، ومحترفي الفوضى العلمية الخالقة للشك والنفور العام.

مما قاله الإمام في هذا الباب؛ ما أورده عند حديثه عن كلام أئمة الحديث في تدليس الإمامين؛ سفيان الثوري، والأعمش، حيث قال: "ولقد أدهشني هذا الخبر الكبير الشأن، أما الأعمش فممكّن لأنه متشيع، وأما السفيانان فيأبى العقل قبول أدنى قاذحة فيهما، ولكن الحكم للأئمة في الفن والاختصاصيين فيه، وهذا من مهارتهم التي بسببها أثنى عليهم علماء الألمان، فله درهم، وعلى شدة الضبط من علماء الحديث"<sup>1</sup>، وهنا نلاحظ بجلاء طرح الإمام لهالات التقديس الشخصية، واستبعاده لعواطف تعظيم السابقين، وتسليمه لحكم أهل الاختصاص في المسألة، فيكون بذلك قد أكد هذه القضية قولاً وتأصيلاً، وعمل بها فعلاً وتطبيقاً.

### ثالثاً: الاعتناء بالشروح والدراسات الحديثية الجامعة.

لقد اتجه المتصدرون للدرس الحديثي الجزائري في عصور الضعف العلمي، وعهود الركود المعرفي؛ إلى الاعتناء بالحواشي والتعليقات المختصرة، وهُجرت دواوين وأمهات الدرس الحديثي، وتُرك المعتمد منها، فتقوّت سطوة التقليد، واستحكمت حلقات الجمود العلمي الحديثي، وتناقلت الهمم عن توسعة الباع والاطلاع الحديثي، ولهذا قال الإمام أبو يعلى الزواوي -عند حديثه عن الموطأ مثلاً-: "و(الموطأ) بشرّاح معتبرة لا الحواشي، وتحرّر المسائل في جميع الأبواب وتلقى على الطلبة كما تقدّم... وأما الحديث فيأخذ في مصطلحاته ثم كتبه المعتمدة"<sup>2</sup>.

ليس هذا الاتجاه إلغاءً للحواشي والمختصرات، ولكن هذه الأخيرة يستأنس بها في مجالاتها وحالاتها المعرفية التي وضعت -أصلاً وأساساً- لأجلها، أما في مقام التأصيل والبناء العلمي الحديثي؛ فلا بد من التوسع والاستقصاء، والرجوع إلى التأليف الأمهات، وتحصيل المُكنة والدربة الحديثية من المصادر العتيقة للفنّ، والتي لا يتأتى اجتماع مباحث الرواية والدراية إلا فيها.

### 2.3 : وسائل تجديد الدرس الحديثي عند الإمام أبي يعلى الزواوي.

تنوعت وسائل تجديد الدرس الحديثي الجزائري عند الإمام أبي يعلى الزواوي وتعدّدت، وفي هذا المطلب سنشير إلى أهمها؛ وذلك بعد شطرها إلى فرعين، يتناول الأول منهما؛ الوسائل العلمية المعنوية، ويتعرّض ثانيهما إلى الوسائل المادية.

1- المصدر نفسه، ج: 2، ص: 74.

2- المصدر نفسه، تاريخ الزواوة: ج: 4، ص: 116.

### 3.2. أ: الوسائل المعنوية لتجديد الدرس الحديثي؛ عند الإمام أبي يعلى الزواوي.

وهي المناهج العلمية، والاتجاهات الدّراسية؛ التي يمكن من خلالها السمو بالدرس الحديثي في آفاق البحث الجادّ، والرقى به في مراقي الفكر الحديثي الأصيل، وبلوغ القصد الإسلامي النبوي الصحيح، ومحاولة المقاربة إن تعذّرت المطابقة، وفي هذا الفرع سنشير لأهمها؛ وهي كالاتي:

#### أولاً: الضبط العلمي للرواية الحديثية.

لم يشدّ الإمام أبو يعلى الزواوي عن الاتجاه الإسلامي العام؛ في الاعتناء بالرواية، والحرص على الاتصال بالأسانيد المجرّدة، ذلك أن أكثر علوم الإسلام إنما وصلت إلينا بالأسانيد التي انتظم في صحيحها فطاحل رجال الإسلام وعلمائه، والذين كان الإمام يحتفي بسيرهم، ويذكّر بمواقفهم كلما أُتيحت له الفرص<sup>1</sup>، ومن تمام الاحتفاء بالرواية الحديثية؛ الحرص على ضبط مباحثها، وتسييج مسالكها، وذلك منعاً من تسييب طرق تحملها، وتمييع أنواع أدائها، ومن أهم هذه الضوابط العلمية ما يأتي:

- تحريّ الصحة والقبول فيما يُروى وينقل، وفيما يؤخذ ويُتحمّل، فلا يكون المشتغل بالدرس الحديثي حاطب ليل، يتحمّل كلّ ما يُلقى، ويتلقّف كل ما يلقى، ويلقي كلّ ما وجد، وفي هذا المقام النبوي "يجب التحري في الاستدلال بالحديث إلا إذا كان صحيحاً وهو صواب، ولكنه صعب"<sup>2</sup>، فرغم صعوبته؛ إلا أنه ضروري، ويقوم على صحة الرواية، وصواب الدراية.

- الحذر والتّحذير من الروايات الضعيفة؛ ومن باب أولى المنكرة والموضوعة، وذلك لأثر الضعيف في إضعاف الدرس الحديثي، ولهذا كان الإمام أبو يعلى الزواوي كثير التحذير من الروايات والفهوم الحديثية الضعيفة<sup>3</sup>، ويمنع من بناء الأحكام عليها، ورغم هذا؛ التزم الإمام بالاستثناءات المشهورة في هذا الباب، والتي تجيز إعمال الضعيف في فضائل الأعمال؛ بضوابطه وشروطه الاحترازية<sup>4</sup>.

- الالتزام بالشروط المعتبرة في التصحيح والتضعيف؛ وهو مسلك من أدق مسالك البحث الحديثي، وذلك لأثره المباشر في النصوص والروايات الحديثية؛ إعمالاً وإهمالاً، وقبولاً وردّاً، وقد انتقد الإمام أبو يعلى كثيراً المسالك المحدثّة في الحكم على الحديث صحة وضعفاً، وكان أكثره واقفاً على اعتماد الكشف الصوفي، والركون إلى الإلهام، وبناء الأحكام على الرؤى والمنامات في إثبات أو نفي الروايات الحديثية<sup>5</sup>، ذلك "أن الأحكام الشرعية لا تثبت بالكشف ولا بالإلهام ولا بالظن ولا بالمنام ولا بالولاية ولا بالكرامة... وكذلك برؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، لأنه وإن لم يكن الشيطان يتصور بصورته

1- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 75.

2- المصدر نفسه، ج: 2، ص: 400.

3- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 48.

4- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 399.

5- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 1، ص: 298، وج: 1، ص: 393، وج: 2، ص: 59، وج: 2، ص: 265، والإسلام الصحيح، ج: 4، ص: 75-79.

إلا أنه لا تخلو رؤيته صلى الله عليه وسلم من موافقة الكتاب والسنة أو مخالفتها، فعلى الموافقة تحصيل حاصل، وعلى المخالفة فلا يعمل بها<sup>1</sup>.

### ثانياً: النَّقد العلمي للمؤلفات والمؤلفين في المجال الحديثي.

لا يمكن تجديد الدرس الحديثي دون العودة إلى تراثه بالدراسة النقدية الموضوعية، والتي تقوم على أسس علمية صحيحة، بعيداً عن طرفي التقديس أو التدنيس، فالأول يَقَرُّ الأخطاء بحجة الاحترام والتقدير للأولين، والثاني يُلغِي الجهود ويقابلها بالجحود، وذلك بحجة القراءات المعاصرة لتحديث التراث، والإمام أبو يعلى الزواوي لم يشذَّ عن هذا الجانب المهم، فقد انتقد -حديثياً- عدّة مؤلفات ومؤلفين، وحكم عليها بما رآه مناسباً.

قبل التمثيل على نقد الإمام أبي يعلى الزواوي لغيره؛ لا بد من التنبيه إلى أنّ الإمام كان متواضعاً في الجانب الحديثي، وبعيداً عن تزكية زاده الحديثي، فكان ينعت نفسه بأنه من صغار طلبة الحديث أحياناً<sup>2</sup>، وينفي أن يكون من علماء الحديث النبوي أحياناً أخرى<sup>3</sup>، وبلغ به الحال -في مقام التحدي- أن يَعِد من يقنعه علمياً ببطلان حديث نبوي صحيح؛ بأن يصير له تلميذاً<sup>4</sup>.

كما تقبل -بكل أدبٍ علميٍّ وخضوعٍ عزيزين- ما انتُقد عليه في الجانب الحديثي، ومن أمثلته؛ استجابته لما أنكر عليه إيراد إياه من بعض الأحاديث والروايات في خطبه المنبرية التي كتبها ونشرها، وممن أنكر عليه ذلك -برفقٍ ولين-؛ الإمام عبد الحميد ابن باديس<sup>5</sup>، وحتى من اشتدَّ عليه وقسا في الإنكار؛ لم يعانده الإمام ولم يعاكسه، بل أقرَّ له إنكاره، وردَّ عليه أغراضه وتحامله<sup>6</sup>، كما انتُقد في أحاديث التوسعة على العيال في عاشوراء<sup>7</sup>، ولم يستنكف عن السؤال عن مرتبة حديث قراءة يس على الموتى<sup>8</sup>.

أما المؤلفات والمؤلفين الذين انتقدتهم الإمام أبو يعلى الزواوي في الدرس الحديثي؛ فمَنهم:

1- الإمام جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)<sup>9</sup>: ومن أهم مؤلفاته التي انتقدها الإمام أبو يعلى حديثياً، وحذر من احتوائها على الضعيف والموضوع؛ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، والإمام الزواوي كان أحد الذين أخذوا عنه ما لا يصح الاستدلال به من الأحاديث والآثار،

1- المصدر نفسه، ج: 1، ص: 312.

2- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 73.

3- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 1، ص: 341، وج: 2، ص: 46.

4- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 3، ص: 158.

5- يُنظر: المصدر نفسه، الخطب المنبرية: ج: 4، ص: 11، وج: 2، ص: 33-34.

6- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 45.

7- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، هـ/ ص: 391.

8- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 382، وج: 2، ص: 395.

9- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 34، وج: 2، ص: 59، والإسلام الصحيح: ج: 4، ص: 84.

وكان انتقاده محاطاً بالأدب العلمي، والشهود له بمنزلته العلمية الرفيعة، فردّ خطأ العالم، وحفظ كرامته.

2- الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت:405هـ): والمعني من مؤلفاته؛ هو المستدرک علی الصحیحین، حيث قال فيه الإمام أبو يعلى الزواوي: "أما أن الحاكم ذو جلاله في علم الحديث فهذا ما لا نزاع فيه، وأما تصحيحه في المستدرک لا يعول عليه كثيراً، فلأن الحفاظ قد حكموا بأن فيه الضعيف والموضوع"<sup>1</sup>.

3- الإمام أبو حامد محمد الغزالي النيسابوري (ت:505هـ): لكثرة أخذ أهل الغرب الإسلامي عنه في شتى العلوم، والقبول الذي تحظى به مؤلفاته؛ نبّه الإمام أبو يعلى الزواوي إلى وجود ما لا يصحّ من الآثار في تراثه، ولم يشدّ هنا؛ في حفظ منزلة الإمام أبي حامد، بل أعاب على من شتّع على الغزالي في الجانب الحديثي ما لم يشتّعه على الإمام جلال الدين السيوطي، رغم أن هذا الأخير كان أحقّ بذلك وأحقّ به من الإمام الغزالي<sup>2</sup>.

4- كتاب تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان<sup>3</sup>: لمحمد الصغير بن المختار الجلابي (ت: 1336هـ): وهو كتاب في باب التراجم لأعلام الطريقة الرحمانية في الجنوب الجزائري، وفيه ذكر لأهم الأخبار والأحداث، وقد نبّه الشيخ أبو يعلى الزواوي على احتوائه بعض الخرافات والأساطير التي تعارض ما صحّ عن أئمة الحديث.

### 3.2. ب: الوسائل الماديّة لتجديد الدرس الحديثي؛ عند الإمام أبي يعلى الزواوي.

أشار الإمام أبو يعلى الزواوي إلى وسائل ماديّة يجب عليها الانخراط في مشروع التجديد الحديثي؛ ومن أهمها الجوانب الآتية:

#### أولاً: تعزيز مؤسسات الدرس الحديثي الجزائري العتيقة.

لا يمكن تجديد الدرس الحديثي إلا بالالتفات إلى مؤسساته التي تحتضنه، وذلك بإنشاء المعدومة، وهيكله الموجود منها؛ إدارياً، وبشرياً، وعلمياً، ويتحقق بوضع المناهج الحديثية المجدية، واقتراح المقررات المناسبة، وانتداب المتمكنين من مدرسي الرواية والدراية، ويمكن إجمال هذا الجانب في النقاط الآتية:

- إعادة إحياء الدرس الحديثي في المساجد<sup>4</sup>؛ رواية ودراية، ولا يتحقق ذلك إلا بإعادة بعث مجالس السماع والرواية لأهمّات المصنفات الحديثية، والتي كانت لها مكانة ومنزلة لدى أهل المغرب عموماً،

1- الزواوي أبو يعلى، د/ شرفي أحمد الرفاعي، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين؛ الإمام أبي يعلى الزواوي، ج: 04، ص: 258.

2- يُنظر: الزواوي أبو يعلى، دويب عبد الرحمن ومحمد الأمين فضيل، الشيخ أبو يعلى الزواوي حياته وأعماله، ج: 2، ص: 56-58.

3- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 429.

4- يُنظر: المصدر نفسه، ج: 1، ص: 405.

والجزائريين خصوصاً، خاصة: الموطأ وصحيح البخاري، دون إغفال دروس الدراية؛ وذلك بتزويد العامة بالزاد الحديثي الحيّ، الباعث على العلم الصحيح، والعمل الصالح.

- إصلاح البرنامج الحديثي للزوايا<sup>1</sup>؛ خاصة إذا اعتبرناها من أهم مؤسسات الدرس الإسلامي في الجزائري، ودورها في تخريج الأئمة، والمترشحين لدروس الوعظ والإرشاد الإسلامي العام.  
ثانياً: تأسيس مجمع علمي للدراسات الحديثية المعمّقة.

كان الإمام أبو يعلى الزواوي كثير المدافعة عن اقتراحه -المحلّي- بتأسيس كلية عليا جزائرية للتخصصات الإسلامية<sup>2</sup>؛ ومن بينها الحديث النبوي، يقوم على هيئتها التدريسية أهل الاستحقاق من العلماء والباحثين، أما على المستوى الأممي؛ فقد نبّه إلى لزوم "أن يكون للمسلمين مجمع علمي عام يؤسس في مصر وسط أوطان المسلمين، مثل الأكاديمي، عند الفرنساويين؛ ليوافق على الكتب الصحيحة وينبذ السقيمة"<sup>3</sup>.

فالإمام أبو يعلى كان دقيقاً في اقتراحه؛ وذلك بأن تكون هذه المؤسسات معاصرة في هياكلها، وأكاديمية في مناهجها، ولا بأس في الأخذ عن غير المسلمين، إن كان هذا المأخوذ مما يمكنه خدمة الدرس الحديثي، خاصة ما تعلق بالموضوعية العلمية، والمناهج النقدية الدقيقة؛ المطابقة للخصوصيات الإسلامية.

### ثالثاً: انتداب لجان حكوميّة لضبط الحديث النبوي.

يعتبر الإمام أبو يعلى الزواوي أن أي عمل أكاديمي لا ترعاه الدولة، ولا تتبنّاه السلطة الحاكمة الجادّة؛ غير ذي جدوى، وذلك لما يجب أن يصاحب مثل هذه المساعي الكبرى من عناية ومتابعة ودعم حكومي، يترتب عليها الثواب والعقاب، وينخرط فيها المعنيون بالدرس الحديثي إما رغبة أو رهبة، وقد ذهب إلى رأيه في ضبط الدرس الحديثي؛ قياساً على القرآن الكريم، والذي دوّنه الصحابة ضمن لجان رسمية انتدبها الخلفاء الراشدون، والأفضل أن يُتبنّى هذا المسعى من جميع الحكومات والدول الإسلامية، وإلا قامت به حكومة إسلامية قُطرية.

ونجاحه مرتين بشرط أن يقوم هذا العمل على أسس أكاديمية موضوعية، بعيداً عن التعصبات والحساسيات المذهبية، وقد قال الإمام أبو يعلى: "ولم يُضبط شيء من الحديث كما ينبغي قياساً على القرآن؛ بأن تتولاه الحكومة، وتجعل له لجنة أكاديمية من العلماء الماهرين في الفن، أمثال؛ مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن ماجه، وسائر الحفاظ، وتضع -أي الحكومة- لذلك قوانين وضوابط وموادّ للثواب والعقاب، ولا تدع حكّم من لا ينطق عن الهوى

1- يُنظر: المصدر نفسه، تاريخ الزواوة: ج: 4، ص: 94-95.

2- يُنظر: المصدر نفسه، جماعة المسلمين: ج: 4، ص: 35.

3- المصدر نفسه، الإسلام الصحيح: ج: 4، ص: 85.

متألعبا بها بين ذوي الأغراض والمفاسد من الأجنب والأبعاد، وتضرب على أيديهم وتنكّل بهم، حتى لا يفوه بالحديث إلا من كان على بصيرة منه على قواعد وقوانين تضعها الحكومة كما قلنا<sup>1</sup>.

إن تمثيل الإمام بحفاظ الحديث وأقطابه؛ ليس تعجيزا للعاملين، وإنما هو تنبيه على وجوب انتداب علماء الحديث من أهل الاستحقاق في هذا الزمن، كما كان الممثل بهم أئمة أزمته وأقطارهم التي وجدوا فيها.

#### 4. خاتمة

بناء على ما سبق ومرّ؛ يمكننا استخلاص عديد القضايا العلمية عند أبي يعلى الزواوي؛ في موضوع تجديد الدرس الحديثي الجزائري، والتي يمكن من خلالها الإجابة عن الإشكالية العلمية المركبة في أول هذه الورقة البحثية، ولعلّ أولها بالذّكر ما يأتي:

- ضرورة الالتفات العلمي الجادّ إلى الأزمة الحديثية التي تمرّ بها الأمة الإسلامية، والعكوف على تجديد الدرس الحديثي ضمن النطاقات المعرفية الأصيلة؛ بعيدا عن طرفي الجمود والتحريف؛ اجتنابا للنتائج العكسية.

- شمول التجديد الحديثي لجانبي الرواية والدراية معا، والحذر من المعالجات الجزئية، والتناول المبتور للتراث الحديثي، وهذه الأخيرة لا يمكنها تحقيق المراد، ولا تزيد الأزمة القائمة إلا تأزّما، مع استحضر ثنائية السند والمتن.

- إعمال كلّ ما يجب ويجوز إعماله؛ من الوسائل والأدوات المعنوية منها والمادية للتجديد الحديثي، خاصة ما تعلق بالعكوف على التراث والانتاج الحديثي بالدراسة النقدية، وتأطير مؤسسات الدرس الحديثي وتطويرها؛ خاصة من جهة المقررات والمتصدّرين للتدريس.

- العمل الجاد والمركّز على التكوين والتمكين الحديثي للمتصدّرين لدرسه رواية ودراية، ذلك أن أي حركة تجديدية لن تكون ذات اعتبار إن لم يتصدّر لها أهل الاختصاص والمُكنة الحديثية المعتمدة.

- مناداة الإمام أبي يعلى الزواوي بوجود استحداث كليات حديثية أكاديمية معاصرة، تتضمن فروع الدرس الحديثي كتخصصات علمية دقيقة، تصدر عنها الدراسات الحديثية المعمّقة والمحترمة، والتي يمكنها الإجابة عن الإشكالات الحديثية المعاصرة.

- وجوب تبني الحكومات الإسلامية لحركة التجديد الحديثي، وإعطائه صبغة المشروع القومي للأمة، وذلك لدور هذا الأخير وأثره في توحيد الأمة، وتجنّبها مزالق التفكير المؤدية إلى الشقاق والافتراق، خاصة مع تعلقه بأصل من أصول الشريعة الإسلامية؛ باعتبار السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي.

من خلال هذه القضايا الجادة؛ يمكننا إضافة التوصيات الآتية:

- البحث والنظر في القضايا العلمية التي تناولها علماء الجزائر؛ خاصة ما تعلق بعلوم الوحيين،

1- المصدر نفسه، ج: 2، ص: 66، ويُنظر: ج: 02، ص: 84.

والاطلاع عليها، وإطلاع الأمة على مدى عمق التفكير الجزائري، وقدرة الكفاءات الجزائرية على مناقشة القضايا الكبرى للأمة.

- استكمال مسعى بناء المضامين الحديثة؛ خاصة بعد التقدم في شطر البناء المؤسسي، وذلك بتدعيم الجامعات والأقسام الحاضنة للتخصص الحديثي، والتحيين الدوري لمناهجها وبرامجها الحديثة، حذرا من تفرغها محتوي.

- عقد الملتقيات والمؤتمرات والندوات الحديثة المجدية، وذلك بنائها على إشكالات معرفية حديثة جادة، وربط مخرجاتها بتساؤلات الأمة النخبوية في المجال الحديثي، واستغلال وسائل الاتصال المتاحة في تبليغ الدرس الحديثي لأكثر عدد ممكن من المستقبلين.

- السعي لإيجاد الوسائل والطرائق العلمية المناسبة لتبليغ الدرس الحديثي، وإيصاله إلى عموم المسلمين، وعدم حصره في المستوى النخبوي، وذلك تحصينا للأمة من الشبهات والشكوك التي تثار في الجانب الحديثي.

- وجوب تبني الدولة لمخرجات المؤتمرات الحديثة الرسمية، وأن تدخل الدرس الحديثي في البرامج الدراسية النظامية، وأن يكون حضورها جادا ومؤثرا، وأن تصوغ الحكومات المسلمة من القوانين والأحكام ما يحفظ جناب الحديث النبوي، ويجرم أي طعن في السنة النبوية أو حملتها من الصحابة الكرام.

##### 5. قائمة المراجع:

###### • المؤلفات:

- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، 1433هـ-2012م، سنن أبي داود، الرياض- المملكة العربية السعودية، مكتبة الرشد ناشرون، ط/2.
- ابن منظور جمال الدين أبي الفضل الأنصاري المصري، 1434هـ-2013م، لسان العرب، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط/2.
- بسطامي محمد سعيد، 1436هـ-2015م، مفهوم تجديد الدين، جدة- المملكة العربية السعودية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط/3.
- بسكر محمد، 2015م، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المطبوعة والمخطوطة، بوسعادة- الجزائر، دار كردادة للنشر والتوزيع، ط/2.
- الجوهري أبي نصر إسماعيل بن حماد، 1420هـ-1999م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، تحقيق: د/ إميل بديع يعقوب- د/ محمد نبيل طريقي، ط/1.
- دويب عبد الرحمن ومحمد الأمين فضيل، 2013م، الشيخ أبو يعلى الزواوي حياته وأعماله، دراية- الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، ط خاصة.
- سعيد قاضي أبو خليل، 2011م، الجرجرية، المحمدية- الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط/1.
- شرفي أحمد الرفاعي، 2011م، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين؛ الإمام أبي يعلى الزواوي، عين مليلة- الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

- عبد العزيز مختار إبراهيم، 1430هـ-2009م، العصرانيون ومفهوم تجديد الدين عرض ونقد، الرياض- المملكة العربية السعودية، مكتبة الرشد، ط/1.
- العظيم آبادي محمد شمس الحق، 1422هـ-2001م، عون المعبود شرح سنن أبي داود، القاهرة، دار الحديث، ط/2.
- القرضاوي يوسف، 1421هـ-2001م، من أجل صحوة راشدة، القاهرة- مصر، دار الشروق، ط/1.
- محمد بن شاكر الشريف، 1425هـ-2004م، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، الرياض- المملكة العربية السعودية، كتاب البيان الصادر عن مجلة البيان، ط/1.
- محمد حامد الناصر، 1422هـ-2001م، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، الرياض- المملكة العربية السعودية، مكتبة الكوثر، ط/2.
- راج خدوسي ومجموعة من الأساتذة، 2016م، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزائر، منشورات الحضارة.
- نويهض عادل، 1400هـ-1980م، معجم أعلام الجزائر، لبنان-بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ط/02.

**Reference List:**

- Abu Dawood Suleiman bin Al-Ashrah Al-Jasstani, 1433 AH-2012, Sunn Abu Dawood, Al-Athlete - Queen of Saudi Arabia, Al-Rashid Publishers Library, I/2.
- Ibn Manzaf al-Din Abi al-Fadl al-Ansari al-Masri, 1434 AH-2013, Lassan al-Arabi, Perot, Lebanon, Dar al-Bookshop, Investigation: Amer Ahmed Haider, I/2.
- Bastami Mohammed Saeed, 1436 AH-2015, Jeddah, Rooting Centre for Studies and Research, i/3.
- Biskar Mohammed, 2015, Algerian intellectual flags through their printed and manuscript monuments, Basseda, Algeria, Kardada Publishing and Distribution House, i/2.
- Al-Jawhari Abu Nasr Ismail bin Hamad, 1420H-1999, Al-Sahah Taj Al-Arabic and Al-Sahah Al-Arabiya, Perot, Lebanon, Dar Al-Bookshop, Investigation: Dr. Emil Badi Ya 'qub, D r.
- Doeb Abd al-Rahman and Mohammed al-Amin Fadil, 2013, Sheikh Abu Ali al-Zawawi.
- Said Qadi Abu Khalil, 2011, Al-Jarjariyah, Al-Mahmadiyah, Algeria, World of Knowledge for Publishing and Distribution, i/1.
- Sharfi Ahmed El-Rifai, 2011, articles and opinions of scholars of the Muslim Scholars' Association; Imam Abiy Ali al-Zawawi, Ayn Melle, Algeria, Al-Huda House for Printing, Publishing and Distribution.
- Abdul Aziz Mukhtar Ibrahim, 1430 AH-2009, Etranion and the Concept of Religion Renewal Show and Criticism, Sports - Saudi Arabia, Al-Rashid Library, I/1.
- The great Abadi Mohammed Shams Al-Haq Abi Al-Fadl, 1422 AH-2001, Aoun Al-Maaboud explained Sunn Abu Dawood, Cairo, Egypt, Dar Al-Hadith, I/2
- Al-Karadawi Yousef, 1421 AH-2001, for the sake of adult awakening, Cairo, Egypt, Dar al-Sharouk, I/1.
- Mohammed bin Shakir Al-Sharif, 1425 AH-2004, Renewal of religious discourse between rooting and misrepresentation, Sports - Saudi Arabia, Statement Book by Al-Bayan Magazine, I/1.
- Mohammed Hamid Al-Nasser, 1422 AH-2001, Iranians between the allegations of renovation and the fields of Tagreb, Sports - Saudi Arabia, Al Kawthar Library, I/2.
- Rabeh Khadousi and a group of professors, 2016, Encyclopedia of Algerian Scholars and Literature, Beer Tut, Algeria, publications of civilization.
- Nu 'eh Adel, 1400H-1980, Algeria's flag lexicon from the Sadr of Islam to the present era, Lebanon-Beirut, Nu' eh Cultural Foundation, I/02.